

تفسير السعدي

@ 336 @ ويصدون الناس عن سبيل الله ، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما ، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم ، إلا ليدلوهم على الطريق المستقيم . ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق ، أن يعطوهم ليفتوهم ، أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله . فهؤلاء الأخبار والرهبان ، ليحذر منهم هاتان الحالتان : أخذهم لأموال الناس بغير حق ، وصددهم الناس عن سبيل الله . ! 2 2 ! أي : يمسونها ! 2 2 ! أي : طرق الخير الموصلة إلى الله ، وهذا هو الكنز المحرم ، أن يمسكها عن النفقة الواجبة ، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات ، أو الأقارب ، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت . ! 2 2 ! ثم فسره بقوله : ! 2 2 ! أي : على أموالهم ، ! 2 2 ! فيحصى كل دينار أو درهم على حدته . ! 2 2 ! في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ويقال لهم توبخا ولوما : ! 2 2 ! فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم ، وعذبتموها بهذا الكنز . وذكر الله في هاتين الآيتين ، وانحراف الإنسان في ماله ، وذلك بأحد أمرين : إما أن ينفقه في الباطل ، الذي لا يجدي عليه نفعا ، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض ، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله ، وإخراجها للصد عن سبيل الله . وإما أن يمسك ماله عن إخراجة في الواجبات ، و (النهي عن الشيء ، أمر بضده) . ! 2 2 ! يقول تعالى : ! 2 2 ! أي : في قضاء الله وقدره ! 2 2 ! وهي هذه الشهور المعروفة ! 2 2 ! أي في حكمه القدري ، ! 2 2 ! وأجرى ليها ونهارها ، وقدر أوقاتها فقسما على هذه الشهور الاثنى عشر شهرا . ! 2 2 ! وهي : رجب الفرد ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وسميت حرما ، لزيادة حرمتها ، وتحريم القتال فيها . ! 2 2 ! يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثنى عشر شهرا ، وأن الله تعالى ، بين أنه جعلها مقادير للعباد ، وأن تعمر بطاعته ، ويشكر الله تعالى على منته بها ، وتقيضها لصالح العباد ، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها . ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم ، وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها ، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت ، لزيادة تحريمها ، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها . ومن ذلك ، النهي عن القتال فيها ، على قول من قال : إن القتال في الأشهر الحرم لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها . ومنهم من قال : إن تحريم القتال فيها منسوخ ، أخذا بعموم نحو قوله تعالى : ! 2 2 ! أي : قاتلوا جميع أنواع المشركين ، والكافرين برب العالمين . ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد ، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك ، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم ، لا يألونهم من الشر شيئا .

ويحتمل أن ! 2 2 ! حال من الواو فيكون معنى هذا : وقاتلوا جميعكم المشركين ، فيكون فيها وجوب النفير ، على جميع المؤمنين . وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله : ! 2 ! 2 الآية . ! 2 2 ! بعونه ، ونصره ، وتأنيده . فلتحرصوا على استعمال تقوى الله ، في سركم ، وعلنكم ، والقيام بطاعته ، خصوصا عند قتال الكفار ، فإنه في هذه الحال ، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين . ^ (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) ^ النسيء هو : ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم ، وكان من جملة بدعهم الباطلة ، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال ، في بعض أوقات الأشهر الحرم ، رأوا بآرائهم الفاسدة أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم ، التي حرم الله القتال فيها ، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم ، أو يقدموه ، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا . فإذا جعلوه مكانه ، أحلوا